# منهج القرآن الكريم في بناء الانسان لتعمير الاوطان

## (سورة البلد إنموذجاً)

م.م. سمية فؤاد مجيد النايف

جامعة الانبار / كلية التربية للبنات

sumaya.majeed@uoanbar.edu.iq

**الملخص:**

يعتبر القرآن الكريم منهجاً شاملاً ودليلاً لبناء الإنسان وتوجيهه نحو قيم إسلامية عظيمة تهدف الى تعزيز التوازن والعدل والتسامح في المجتمعات من خلال توجيهاته واساليبه فيساعد القران الكريم في بناء شخصية الانسان وتعزيزها مما يسهم في تعمير الاوطان بالعدل والرحمة ، وبناءً على هذه المبادئ يمكن استخدامها كدليل لتحقيق التغير الاجتماعي وبناء مجتمعات مزدهِرة ومستدامة . فالأمة الصالحة والمجتمع الصالح في ميزان الله ليس هي الامة والدولة التي تعيش في أماكن وبيوت مرفه ومنعمة وحديثة وحال الناس والافراد في ظلم وعصيان وفساد ، وكذلك الحال بالنسبة للإنسان فليس الانسان صالح هو المترف المنعم الذي حاز على ملذات الدنيا ، بل قد كون الانسان لديه كل هذه الصفات وهو لا يزن عند الله جناح بعوضة .

الكلمات المفتاحية: (بناء الانسان ، سورة البلد ، منهج القرآن ، تعمير الأوطان).

# The approach of the Holy Qur'an in building human beings to rebuild nations

## (Surat Al-Balad as an example)

**Sumaya Foaad Majeed Al-Nayef**

**Anbar University / College of Education for Girls**

**sumaya.majeed@uoanbar.edu.iq**

**Abstract:**

The Holy Qur'an is considered a comprehensive approach and guide for building human beings and directing them towards great Islamic values aimed at promoting

balance, justice and tolerance in societies through its directives and methods. The Holy Qur'an helps in building and strengthening human character, which contributes to the reconstruction of nations with justice and mercy. Based on these principles, they can be used as a guide to achieving change. social and building prosperous and sustainable societies. A righteous nation and a righteous society in God's balance is not the nation and state that live in luxurious, luxurious, and modern places and homes. The condition of people and individuals is in injustice, disobedience, and corruption. Likewise, it is the case with man. A righteous man is not the affluent, affluent person who has attained the pleasures of the world. Rather, man has all of these. Attributes, and He does not weigh in the eyes of a mosquito wing .

**Keywords: (building human beings, Surah Al-Balad, the approach of the Qur'an, rebuilding homelands).**

**المقدمة :**

يعتبر القرآن الكريم من أهم المصادر التي توجه الانسان في حياته وتعلمه كيفية بناء شخصيته وتعمير الأوطان ، فالقرآن الكريم دليلاً شاملاً للإنسان في جميع جوانب حياته سواء كانت اجتماعية او أخلاقية أو سياسية ، ويحتوي القرآن على العديد من السور والآيات التي توجه الانسان للعمل على بناء شخصيه وتعمير المجتمعات .

وتعتبر سورة البلد من السور القرآنية التي تحتوي على مضامين هامة تتعلق بمنهج القرآن الكريم لبناء الانسان الواعي ، وتتناول قضايا اجتماعية وأخلاقية تهدف الى تطوير الفرد والمجتمع ، ويعد تحليل هذه السورة مهماً لفهم كيفية تطبيق منهج القرآن لبناء الشخصية الانسانية التي ارتضاها الله وفهم كيفية تطبيق هذا المنهج في حياة الانسان اليومية وفي بناء المجتمعات .

وان سورة البلد ترشد الانسان الى مصدر القوة والفلاح الحقيقيين وتجنبه العذاب والخذلان وبناء مجتمع صالح الذي تجمعه وتربطه أسس ايمانية والعمل وفق محبة الله ورضوانه ، فتكون بذلك

المجتمعات ذات علاقة قائمة على اساس الاخوة في الله ومساندة القوي الضعيف ، فالعبرة بالتطور وازدهار الامم هو بناء انسان له أهميته ودوره الذي خُلق من أجله ، فحرمة الأنسان عند الله اعظم من حرمة الكعبة ، فهو اول عنصر في بناء المجتمع في الدنيا والاخرة .

والهدف من هذا البحث : سورة البلد بينت أَن الإنسان قد جعله الله في مكابدة ومشقة من يوم ولادته إِلى يوم القيامة ، إشارة إِلى أَن العاقل ينبغي أَن يؤمن ويعمل صالحًا كي يدخل الجنة فيحسن ماله وينعم في أُخراه فيستريح من معاناة الشدائد، ولا تسلمه أَعماله القبيحة إِلى النار وبئس المصير (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبد) .

سبب اختيار الموضوع :ان الحياة لا تقوم إلا على منهج قويم وافضل منهج وطريق هو الرجوع الى ما أقره الله في كتابه وان نستمد منه الطريق للوصول الى أعلى مراتب التقدم والنهوض بحال الامة الى كل خير وفلاح .

والسؤال المحوري لموضوع البحث : الى أي مدى يمكن للإنسان أن يجاهد نفسه ويستشعر بنعم الله عليه ويسخر ذلك لبناء مجتمعه بما يرضي ربه ؟

أما هدف البحث : واهداف بحثي المتواضع يمكن حصرها فيما يلي: سورة البلد بينت أَن الإنسان قد جعله الله في مكابدة ومشقة من يوم ولادته إِلى يوم القيامة ، إشارة إِلى أَن العاقل ينبغي أَن يؤمن ويعمل صالحًا كي يدخل الجنة فيحسن ماله وينعم في أُخراه فيستريح من معاناة الشدائد، ولا تسلمه أَعماله القبيحة إِلى النار وبئس المصير (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبد) ، وان منهج القرآني بصورة عامة وسورة البلد بصورة خاصة جاءت لتبين ان رب العزة قد انعم علينا بنعم جليلة امتن الله بها على عباده؛ حثًّا لهم على أَن يؤدوا شكرها ويقوموا بحقها ويجاهدوا في تحقيقها. حدود الدراسة : سورة البلد وما احتوته من الافكار الرئيسية لبناء الانسان وشرحها .واعتمدت في دراستي على المنهج التحليلي الاستنباطي في تحليل الآيات واستناط الحكم منها .ولمعالجة الموضوع فضلنا تقسيمه إلى ثلاثة مباحث وكل مبحث إلى ثلاثة مطالب .

وقد جاء البحث على ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : تعريف بسورة البلد ومكانتها في القرآن الكريم

المبحث الثاني : بيان احوال الانسان في الحياة الدنيا

المبحث الثالث : تحرير الانسان وتقويته بالعمل الصالح

## المبحث الأول : تعريف بسورة البلد ومكانتها في القرآن الكريم

### المطلب الأول : تعريف بسورة البلد

الراجح عند جمهور المفسرين إنها سورة مكية ، تتألف من عشرين آية ، تحدثت الآيات التي قبلها في سورة الفجر عن ذم من يحرص على المال بتقديمه على طاعة وعبادة الله ، ويحبه حباً جماً يمنعه من فعل الخيرات والإنفاق في سبيل الله ، جاءت سورة البلد لحث الإنسان على الإنفاق في سبيل الله وذكرت بعض الأمثلة على ذلك ، وإن هذا الإنفاق ماهو إلا سبيل لطمأنينة النفس الإنسانية [١] .

وسميت هذه السورة في ترجمتها عن صحيح البخاري ( سورة لا أقسم ) وسميت في المصاحف وكتب التفسير ( سورة البلد ) ، وهو إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها لإرادة البلد المعروف وهو مكة .

قال الألوسي عن سورة البلد: " وهي عشرون آية بلا خلاف ، ولما ذم سبحانه فيما قبلها من أحب المال وأكل التراث أكلا لما ، ولم يحض على طعام المسكين ، ذكر جل وعلا فيها الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة، وإطعام في يوم ذي مسغبة، وكذا لما ذكر عزّ وجل النفس المطمئنة هناك ، ذكر سبحانه هاهنا بعض ما يحصل به الاطمئنان " [٢] .

وتعرض السورة أن حياة الإنسان مبنية على التعب والمشقة لذا فهي تدعي الى الصبر والتراحم فيما بين بني البشر ومكابدة هذه المتاعب ومساعدة القوي الضعيف .

" تضم هذه السورة الصغيرة جناحيها على حشد من الحقائق الأساسية في حياة الكائن الإنساني ذات الإيحاءات الدافعة واللمسات الموحية حشد يصعب أن يجتمع في هذا الحيز الصغير في غير القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد في التوقيع على أوتار القلب البشري بمثل هذه اللمسات السريعة

العميقة ، تبدأ السورة بالتلويح بقسم عظيم ، على حقيقة في حياة الإنسان ثابتة "٣ (( لاأُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ. وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ. وَوالِدٍ وَما وَلَدَ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ )) سورة البلد:١-٤.

وملخص القول : إنَّ نعم الله تعالى التي أنعمها على الإنسان يجب مقابلتها بشكر الله عليه ، والشكر يكون بالعمل الصالح و فعل كل ما يرضي الله تعالى واستخدام هذه النعم في بناء النفس والمجتمع حسب منهج رباني ، ويجب أن لا تكون هذه النعم سبباً في إغترار الانسان بما عنده من أسباب القوة ، وبينت آيات هذه السورة إن الانسان خلق في كبد ونصب، وما لديه من نعم من الله تعالى ماهي إلا وسيلة له للمضي في هذه الحياة في إطار استخلافه على الأرض لعمارتها.

**المطلب الثاني : اغراض سورة البلد**

إنَّ القرآن الكريم كتاب هداية ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...﴾ سورة الاسراء:٩ ورسالة سماوية معجزة ودستور الإسلام الخالد ، وفيه أصول المعارف العامة ، وهو الأصل الأول من أصول التشريع الإسلامي قال تعالى : ﴿... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ...﴾ سورة الانعام:٣٨ ، لذا فإن دراسة جانب من جوانبه أمر في غاية الأهمية لأنها تسلط الضوء على ذلك الجانب ، سواء جزئيا كان ذلك الأمر أم كليا وآية كان أم آيات عدة وسورةً كان أم سورا عدة ؛ لأن الدراسة في النهاية توصل الباحث إلى : الإحاطة بالجزء المدروس ، وتطلعه على الأسرار الكامنة وراءه من : معنى ، وأسلوب ، ودلالة ، وتركيب ، وقراءة ، ومنهج.

ومن أغراض هذه السورة التنوية بمكة المكرمة ، وبمقام النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبركته فيها وعلى أهلها ، والتنويه بأسلاف النبيء – صلى الله عليه وسلم – من سكانها الذين كانوا من الأنبياء ، مثل : إبراهيم وإسماعيل ، أو من أتباع الحنيفية مثل : عدنان ومضر ، حيث تبدأ السورة بقسم يظهر شرف مكة المكرمة ، وشرف أشرف من سكنها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم تبدأ السورة في مقصودها الأول هو نفي القدرة عن الإنسان وإثباتها لله عز وجل ، نفيها عن كل ما يلازمه من هموم واحزان ، وإثباتها لخالقه بإقامة الدليل على قدرته لخلق الانسان " مقصودها الدلالة على نفي القدرة عن الإنسان ، وإثباتها لخالقه الديان بذكر المخلص منها ، الموصل إلى السعادة في الآخرة ، وهو ما هدى إليه ربه سبحانه ، وذلك هو معنى اسمها ، فإن من تأمل أمان

أهل الحرم وماهم فيه من الرزق والخير على قلة الرزق ببلدهم – مع ما فيه غيرهم ممن هم أكثر منهم علم ذلك " [٤] .

وعرضت السورة مقاصد أخرى منها " التخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك وإنكارهم البعث ، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه ، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس ، ونعمة النطق ، ونعمة الفكر ، ونعمة الإرشاد ، فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير ، وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه ، ووعيد الكافرين وبشارة الموقنين "[٥].

ومن اغراض السورة المهمة تذكير الناس بإن تجاوز العقبات لا يكون إلا بالعمل الصالح كالإحسان الى العبيد واليتامى والمساكين ، وإنها تحدثت عن تحدي الله للمغرورين بقوتهم ومالهم ، ، وذكر الله تعالى المشركين بنعمته عليهم ، حيث أعطاهم لساناً وشفتين وبين لهم الاعمال المسببة لنجاتهم وهي إطعام الطعام [٦]وتحرير العبيد والإحسان الى اليتامى ، وبين لهم سبب شقائهم إعراضهم عن الله تعالى ، وعدم شكر الله على نعمه .

## المبحث الثاني

## بيان احوال الانسان في الحياة الدنيا

### المطلب الأول: الجَهد والكبد في الحياة الدنيا

لا شك أن الدنيا دار بلاء ومشقة وعناء لحكمة لا يعلمها إلا الله ، فالجهد والعناء طبيعة الحياة الدنيا وسمتها التي اتسمت بها ، وتتنوع أشكاله ومصادره حسب الطريق الذي يسلكه الانسان لنفسه ، فمنا من يشقى ويكدح لإجل المال والملك او الجاه والآخر يكدح لربه وآخرته يكدح لأجل الجنة ونعيمها ، فالكل يكدح ويسعى لطريقه ولكن شتان مابين هذا وذاك .

ولعل من أهم الحكم في جعل الدنيا دار جهد وبلاء ومكابدة كي لا يركن الإنسان إليها وينسى غاية وجوده في الحياة ومنهج ربه الذي رسمه له ، فرسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – يقول (( عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط )) [٧] .

ففي المصائب نعم على العبد والله تعالى له الحكمة البالغة فيما يصلح عبده ، والصبر على أقدار الله باب من أبواب ايمان العبد بربه " أن المؤمن قد يحل به شيء من المصائب في نفسه أو

ماله أو غير ذلك، وأن الله سيثيبه على تلك المصائب إذا هو صبر، وأنه كلما عظمت المصيبة وعظم خطرها عظم ثوابها من الله، ثم يبين صلى الله عليه وسلم بأن المصائب من علامات حب الله للمؤمن، وأن قضاء الله وقدره نافذان لا محالة، ولكن من صبر ورضي، فإن الله سيثيبه على ذلك برضاه عنه وكفى به ثوابا، وأن من سخط وكره قضاء الله وقدره، فإن الله يسخط عليه وكفى به عقوبة " [٨] .

وفي سورة البلد يقول تعالى : ((لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ )) سورة البلد : ٣-٤ ، فقد ابتدأت السورة بقسم عظيم وعلى طبيعة خلق الانسان وطبيعة الجهد والمكابدة والكفاح في هذه الحياة الدنيا " إنه الكبد طبيعة الحياة الدنيا تختلف أشكاله وأسبابه ، ولكنه هو الكبد في النهاية ، فأخسر الخاسرين هو من يعاني كبد الحياة الدنيا لينتهي إلى الكبد الأشق الأمرّ في الأخرى ، وأفلح الفالحين من يكدح في الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تنهي عنه كبد الحياة ، وتنتهي به إلى الراحة الكبرى في ظلال الله " [٩] .

فقد اختلف العلماء في بيان معنى قوله تعالى ( في الكبد ) :

القول الاول : المراد بالكبد النصب والتعب والمشقة والمكابدة ، ومعنى الآية بناءً على ذلك " في كبد: يكابد مشاق الدنيا والآخرة، ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته إلى أن يستقر قراره ، إما في جنة فتزول عنه المشقات وإما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده " [١٠] ، وقد روي هذا القول بعض السلف فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قوله تعالى ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)) أي : في نصب [١١] .

القول الثاني : في كبد أي منصب القامة يمشي على رجليه ، ولم يخلق منكباً على وجهه كباقي المخلوقات ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ )) سورة التين : ٤.

وقد روي هذا القول بعض السلف فعن عكرمه رضي الله عنه قال : ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)) أي : في إنتصاب [١٢] .

## المطلب الثاني : اغترار الانسان بقوته وحاجته الى ربه

سورة البلد تفند مظان الانسان المغتر بقوته وتبين له أنه محاط بالعجز والحاجة الى خالقه والمنعم عليه بخلقه على أحسن صورة ، وينفض الله عنه في هذه السورة الوهم ويذكره بأنه إنسان

ضعيف يسري عليه كل ما يسري على باقي البشر ممن يستضعفهم ويحاول خذلانهم وظلمهم ، ويذكره إنه انسان يحتاج الى هذه النعم التي تعينه على مكابدة الدنيا كالعين والسان والشفة فيقول الله تعالى في هذه السورة ((أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ )) سورة البلد :٥-٧ . فذكرت هذه الآيات خلق ذميم في الانسان وهو إغتراره بقوته ، مما حدا بكفار قريش أن يغتروا بقوتهم حتى يعاندوا الحق ويكفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وينفقوا اموالهم في سبيل الشرور والمفاسد ، ولكن المنهج القرآني الذي يرتضيه الله لعباده لكي يعمروا أرضهم ويكونوا خلفاء مصلحين هو عدم الإغترار بما لديهم ويذكرهم دائماً أنهم بحاجة الى خالقه ، فقوله تعالى (( أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ )) إستفهام استنكاري للتوبيخ .

" فقد وبخ الله تعالى الإنسان على بعض الأفكار والاعتقادات والتصورات ، كظنه ألا قدرة لأحد عليه ، وإنفاقه المال الكثير مراءاة ، أو مضايقة من أداء الواجبات المالية الخيرية، وجهله بأن الله عالم به مطلع على جميع أقواله وأفعاله، وسائله عن ماله من أين كسبه، وفي أي شيء أنفقه؟

إن الله قادر على كل شيء من الإنسان والحيوان والجماد والنبات ، عالم بقصد كل إنسان حين ينفق ما ينفق رياء وافتخارا وحبا للانتساب إلى المعالي والمكارم ، أو معاداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويرى كل أحد فيما يعمل ويجني ويكتسب وينفق " [١٣] .

## المطلب الثالث : نعم الله عز وجل على الانسان

ان نعم الله على الانسان لا تعد ولا تحصى فهي تتجلى في كثير من الجوانب ، قد تكون نعم الله تعالى على العبد محدودة في نظر بعض الناس ، ولكن اذا نظر الانسان بعين الايمان والتفاؤل سيجد ان الله قد أنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى ، فمن أعظم نعم الله تعالى على الانسان واهمها هي نعمة الإله الواحد ، وقد ضرب الله لنا مثلاً ليوضح هذه النعمة بقوله تعالى ((ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً )) سورة الزمر:٢٩ .

" لا يستوي عبد مملوك لعدة أسياد يتجاذبونه ، لأنهم متشاكسون مختلفون يَحَارُ فيما بينهم ، إنْ أرضي هذا سخط ذاك هل يستوي وعبد مملوك لسيد واحد؟ إذن: فمما يُحمَد الله عليه أنه إله واحد " ١٤ .

ومن تلك النعم أنه سوى خلقه وحسن صورته وهذه النعم لكي تعينه على حمل الرسالة والتكليف الالهي في تعمير الارض واصلاحها ((فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ )) سورة الانفطار : ٨ .

أي ركبك في اي صورة شاء وهذه ومن نعم الله على الانسان ومع هذا العطاء الجزيل والنعم المتتالية يجحد الانسان ويكفر .

فالأنسان إذا انعم الله عليه وكان مسلماً وقام بإداء الشكر على هذه النعمة من الله عز وجل عليه بالزيادة ، ويمكن للمسلم أن يعرف أنه كلما زادت عليه النعم من الله إن كان من المؤمنين حقاً كلما عرف فضل الله تبارك وتعالى عليه وازداد طواعية وقياماً بحق الله .

" وأمام هذا الغرور الذي يخيل للإنسان أنه ذو منعة وقوة وأمام ضنه بالمال وادعائه أنه بذل الكثير يجابهه القرآن بفيض الآلاء عليه في خاصة نفسه وفي صميم تكوينه وفي خصائص طبيعته واستعداداته تلك الآلاء التي لم يشكرها ولم يقم بحقها عنده (( أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ )) سورة البلد ٨-١٠ .

هذه الآلاء التي أفاضها الله على جنس الإنسان في خاصة نفسه وفي صميم تكوينه والتي من شأنها أن تعينه على الهدى :عيناه بما تريان في صفحات هذا الكون من دلائل القدرة وموحيات الإيمان وهي معروضة في صفحات الكون مبثوثة في حناياه ولسانه وشفتاه وهما أداة البيان والتعبير وعنهما يملك الإنسان أن يفعل الشيء الكثير والكلمة أحيانا تقوم مقام السيف والقذيفة وأكثر وأحيانا تهوي بصاحبها في النار كما ترفعه أو تخفضه في هذه النار " [١٥]

" أن نعم الله على العبد فيما خلق الله فيه من صحة البدن وعافية الجسم، وإعطاء النظر الصحيح والعقل السليم، والسمع الذي يفهم به الأشياء وبطش اليدين وسعي الرجلين إلى غير ذلك مما

أنعم به عليه في نفسه، وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمة العظام التي لا يمكن الوصول إلى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تقدرون عليه إن الله لغفور يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم رحيم يعني بكم حيث وسع عليكم النعم، ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير، والمعاصي "[١٦] .

## المبحث الثالث

## تحرير الانسان وازالة العواقب عنه لبناء الاوطان

### المطلب الاول: اقتحام العقبة لتحرير الانسان

بعدما ذكرت السورة النعم التي يحتاجها الإنسان لمكابدة الحياة الدنيا مثل العين واللسان وغيرها التي تعينه على بناء جسده ، تعرض السورة وتذكر الانسان المؤمن لإستغلال كل ذلك في إقتحام العقبة وإزالتها من طريقه لكي يخرج للمجتمع إنساناً حراً يستطيع أن يخدم ويبني مجتمعه ويعمر ارضه التي كلفه الله وشرفه بهذه المهمة وحتى يصبح عضواً فاعلاً في البلد .

فيقول تعالى في هذه السورة التي نحن بصدد دراستها (( فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ )) سورة البلد : ١١-١٦ .

فلا اقتحم العقبة الاقتحام هو " الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة ، جعل الأعمال الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة في مجاهدة النفس وما أدراك ما العقبة هذا تعظيم لشأن العقبة التي ينبغي أن تقتحم " [١٧] .

ثم جاء تفسيرها بثلاث أمور :

- فك رقبة أي : إعتاق رقبة أو المساعدة على إعتاقها.
- أو إطعام في يوم ذي مسغبة أي: ذي مجاعة .
- يتيما ذا مقربة أي: ذا قرابة ،أو مسكينا ذا متربة أي : ذا افتقار فهو من فقره لصق في التراب ، وأصبح التراب مأواه [١٨] .

فهذا طلب من الله تعالى على ان يشكره على النعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين فالمصدر الحقيقي للقوة هو المجتمع ، ولا يكون مجتمع قوي ومتماسك إلا اذا حمل القوي فيه الضعيف ، وبذلك تقوى وحدة بناء المجتمع عن طريق إزالة العقبات وتحرير عامة أفراده .

" وقد نزل هذا النص والإسلام في مكة محاصر وليست له دولة تقوم على شريعته، وكان الرق عاما في الجزيرة العربية وفي العالم من حولها ، وكان الرقيق يعاملون معاملة قاسية على الإطلاق ، فلما أن أسلم بعضهم كعمار بن ياسر وأسرته وبلال بن رباح وصهيب ..وغيرهم – رضي الله عنهم جميعا – اشتد عليهم البلاء من سادتهم العتاة وأسلموهم إلى تعذيب لا يطاق ، وبدا أن طريق الخلاص لهم هو تحريرهم بشرائهم من سادتهم القساة فكان أبو بكر – رضي الله عنه – هو السابق كعادته دائما إلى التلبية والاستجابة في ثبات وطمأنينة واستقامة " ١٩ .

**المطلب الثاني : تقوية النفس بالإيمان والعمل الصالح**

لا بد للمؤمن أن يحيا ضمن جماعة المؤمنين يتقوى بهم ويقويهم ، يقوي نفسه أولا بالايمان والعمل الجماعي عن طريق التواصي والصبر والمرحمة ويكون فيهم مصدر حياة وبناء وعزيمةلا داعية يأس وضعف.

ففي قوله تعالى : ((ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠) )) سورة البلد : ١٧-٢٠

جاءت هذه الآيات لتؤكد أهمية وجود الفرد في حضن الجماعة واهمية بناء الفرد المسلم لتقوية المجتمع ، فلا يكفي الإيمان أن تنفق وتطعم الطعام أو تعين بل لا بعد مع هذه الامور التواصي والتعاون على الخير والدعوة فيما يناسب الحال والمقام والصبر والمرحمة بين الناس .

فهؤلاء المؤمنون من صفاتهم " آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به ، وعملوا الصالحات بجوارحهم ، من كل قول وفعل واجب أو مستحب وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ على طاعة الله وعن معصيته ، وعلى أقدار الله المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضًا على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملا منشرحًا به الصدر، مطمئنة به النفس ، وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ للخلق ، من إعطاء محتاجهم وتعليم جاهلهم والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه ، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، أولئك الذين قاموا بهذه الأوصاف ، الذين وفقهم الله لاقتحام هذه العقبة ( أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ) لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده ، وتركوا ما نهوا عنه ، وهذا عنوان السعادة وعلامتها " [٢٠] .

ومن ثمار العمل الصالح الذي دعا اليه الله تعالى في هذه السورة أنه تتنزل به الرحمات وتُستجاب الدعوات ويعم الأمن والأمان ، وان الأعمال الصالحة تُثقل موازين العباد يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا ولد وترتقي بالعبد الى منزلة أصحاب الميمنة كما ذكر رب العزة ( أولئك أصحاب الميمنة ) ، " الذين آمنوا بالله وأيقنوا ان ما في يدهم لله ومن مال الله وهم منفقون باقدار الله لعيال الله في سبيل الله ومع ايمانهم بالله واتصافهم بالأعمال الصالحة المؤكدة لإيمانهم قد تواصوا بينهم اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على مشاق التكاليف الإلهية ومتاعب الطاعات المأمور بها لهم وكذلك تواصوا بينهم بالمرحمة والشفقة على عباد الله وتعظيمهم والتحنن نحوهم والإحسان معهم ولو بكلمة طيبة وبالجملة ، أولئك الموصوفون بهذه الكرامة العظمى أصحاب الميمنة عند الله اى ذوو اليمن والكرامة وانواع اللطف وأعلى الدرجات والمقامات " [٢١] .

وبهذا يحصل الانسان على القوة والطريقة الحقيقية التي تبني العائلة الكبيرة والمجتمع المتعاضد المتعاون الذي يساند القوي فيه الضعيف وهو ماراده الله تعالى لبناء البلد الطيب الذي يستحق أن

يقسم الله تعالى به في أي زمان وأي مكان ، فالعبرة ببناء هذا الانسان المؤمن الصادق المتعاون لكي يعمر ما كُلف به وهي الاوطان.

وعندما تتقوى النفس ينال المؤمن الحياة الطيبة في الدنيا قبل أن ينتقل الى الحياة الطيبة في الأخرة ، فالأعمال الصالحة تؤدي الى ترابط المجتمع وتماسكه ويدفعه الى حمل كل معاني الإخاء والتعاون وبهذا يُبنى مجتمع إسلامي مميزاً يسير وفق الشريعة الاسلامية ويطبقها .

وبهذا يتحص ان العمل الصالح يجعل الانسان اكثر قربة من الله عز وجل واكثر قربة من الآخرين وإحساساً بهم وتعود بالنفس على حب الخير ورفض الفساد والظلم والشرور إضافة الى ذلك تعينه على بناء مجتمعه ووطنه بما يرتضيه الله وعلى نهج القرآن الكريم القويم .

**الخاتمة :**

الحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه وسلم من خلال دراستي لسورة البلد واحتوته من منهج في بناء الانسان المؤمن الذي يستغل ماسخره الله له من النعم والقوة في بناء نفسه وتحريرها من كل العقبات لينهض بإمته ومجتمعه نحو الخير والفلاح ويبني وطنه بما يرضى ربه ويقوي مجتمعه بالعمل الصالح والصبر والتراحم فيما بينهم نتوصل الى بعض النتائج :

١- أن الكبد والعناء طبيعة الحياة الدنيا ، وأن في الارض نفسها بعض انواع البلاء والعناء و كلاً يكدح لأمر ويبقى الإختلاف في طبيعة هذا الجهد فالذي يتعب ويكدح لكي يرضى ربه ويبني وطنه وفق منهج قويم وليس كالذي يكدح لدنياه فقط والذي يموت في سبيل دعوة ليس كالذي يموت في سبيل نزوة .
٢- أن الإنسان محاط بالعجز وانه دائم الحاجة لربه وخالقه المنعم عليه بالنعم كالعين واللسان التي تعينه وتهيأ له مقومات الاسخلاف في الارض وبناء مجتمعه .
٣- تحرير النفس من العبودية لغير الله تعالى لكي يخرج للمجتمع إنساناً حراً يستطيع ان يخدم ويساعد في بناء مجتمع مؤمن متماسك .

٤- تقوية الفرد بالإيمان والعمل الصالح عن طريق التواصي بالصب والتراحم مع بعض وبهذا يحصل المجتمع على عائلة مترابطة يساند القوي فيها الضعيف .

٥- ان سورة البلد ترشد الانسان الى مصدر القوة الحقيقي والى ما فيه صلاح وتجنب الهلاك وتكوين النفس وبناءها على مبدأ الايمان بالله ورسالاته والعمل وفق شرعه ومنهجه ، فتكون علاقة الافراد قائمة على اساس الاخوة ومساندة القوي للضعيف .

وصلِّ اللهم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**الهوامش:**

[١] الاساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤٢٤هـ ، ج١١ ، ص٦٥٢٧ .

[٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم وسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ ، الطبعة الاولى ، ج١٥ ، ص٣٤٩ .

[٣] في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ) ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة السابعة عشر ، ١٤١٢هـ ، ج ٦، ص٣٩٠٨ .

[٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ج٨ ، ص٤٢٥ .

[٥] التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤هـ، ج٣٠ ، ج٣٤٦ .

[٧] سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، مكتبة مصطفى البابي ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م ، باب ماجاء في الصبر على البلاء ، ج٤ ، ص٦٠١ ، رقم الحديث ( ٢٣٩٦) .

[٨] الجديد في شرح كتاب التوحيد ، محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي ، دراسة وتحقيق : محمد بن احمد سيد احمد ، مكتبة السوادي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٣م ، ص٣٢١ .

[٩]في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة السابعة عشر ، ١٤١٢هـ ، ج٦ ، ص٣٩١٠ .

[١٠]البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق ، صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، ج١٠ ، ص٤٨١ .

[١١]الجامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، تحقيق : محمد احمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ج٢٤ ، ص٤٣٣-٣٣٤ .

[١٢]المصدر السابق ، ج٢٤ ، ص٤٣٤ .

[١٣] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ ، ج٣٠ ، ص٢٤٧.

[١٤] تفسير الشعراوي _ الخواطر_ محمد متولي الشعراوي ، مطابع اخبار اليوم ، مصر ، ١٩٩٧م ، ج١٥ ، ص٩٠١٣ .

[١٥] في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج١٠ ، ص٣٠٩ .

[١٦] لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، الطبعة الاولى ، ١٤١٥هـ ، ج٣ ، ص٧١ .

[١٧] الاساس في التفسير ، سعيد حوى ، ج١١، ص٦٥٣٠ .

[١٨] المصدر السابق ، ج١١ ، ص٦٥٣١

[١٩] في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج١٠ ، ص٣١٠ .

[٢٠] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م ، ص٩٢٤ .

[٢١] الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان ، دار الركابي للنشر ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م ، ج٢ ، ص٥١١ .

## المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم .

١- الاساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤٢٤هـ

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم وسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ ، الطبعة الاولى .

٣- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ) ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة السابعة عشر ، ١٤١٢هـ .

٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

٥- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤هـ.

٦- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، مكتبة مصطفى البابي ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م ، باب ماجاء في الصبر على البلاء.

٧- الجديد في شرح كتاب التوحيد ، محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي ، دراسة وتحقيق : محمد بن احمد سيد احمد ، مكتبة السوادي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٣م .

٨- البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق ، صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .

٩- الجامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، تحقيق : محمد احمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

١٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ.

١١- تفسير الشعراوي _ الخواطر_ محمد متولي الشعراوي ، مطابع اخبار اليوم ، مصر ، ١٩٩٧م.

١٢- لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، الطبعة الاولى ، ١٤١٥هـ.

١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .

١٤- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان ، دار الركابي للنشر ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .

**Sources and references**

•The Holy Quran .

1- Al-Asas fi Al-Tafsir, Saeed Hawwa, Dar Al-Salam, Cairo, sixth edition, 1424 AH.

2- The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and Seven Mathanis, Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi, edited by: Ali Abd al-Bari Atiya, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1415 AH, first edition.

3- In the Shadows of the Qur'an, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharibi (deceased: 1385 AH), Dar Al-Shorouk, Cairo, seventeenth edition, 1412 AH.

4-nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr , burhan aldiyn 'iibrahim bin eumar bn hasan alrrubat bn ealii bn 'abi bakr albiqaeii (almutawafaa: 885 ha) , dar alkutub aleilmiat , bayrut , 1415h .

5- altahrir waltanwir , muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnusiu (almutawafaa : 1393hi) , aldaar altuwnusiat lilnashr , tunis , 1984h.

6-sunan altirmidhii , muhamad bin eisaa bn sawrt bin musaa bin aldahaki, altirmadhi, 'abu eisaa (almutawafaa: 279hi) , maktabat mustafaa albabi , misr , altabeat althaaniat , 1975m , bab maja' fi alsabr ealaa albala'i.

4-Nazm al-Durar fi Tansab al-Ayat al-Surah, Burhan al-Din Ibrahim bin Omar bin Hassan al-Rabbat bin Ali bin Abi Bakr al-Buqa'i (deceased: 885 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1415 AH.

5- Liberation and Enlightenment, Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir bin Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 AH), Tunisian Publishing House, Tunisia, 1984 AH.

1- Sunan Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa bin Sura bin Musa bin Al-Dahhak, Al-Tirmidhi, Abu Issa (deceased: 279 AH), Mustafa Al-Babi

Library, Egypt, second edition, 1975 AD, chapter on patience in the face of affliction.

2- The New Explanation of the Book of Tawheed, Muhammad bin Abdul Aziz Al-Sulaiman Al-Qaraawi, study and investigation: Muhammad bin Ahmed Sayyed Ahmed, Al-Sawadi Library, Kingdom of Saudi Arabia, fifth edition, 2003 AD.

3- Al-Bahr Al-Muhit, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi, edited by Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, 1420 AH.

9- Al-Jami' Al-Bayan fi Interpretation of Verses of the Qur'an, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib Al-Amli, Abu Jaafar Al-Tabari, edited by: Muhammad Ahmed Shaker, Al-Resala Foundation, Beirut, 2000 AD.

10- The Enlightening Interpretation in Doctrine, Sharia, and Methodology, Wahba bin Mustafa Al-Zuhayli, Dar Al-Fikr Al-Mu'asr, Damascus, second edition, 1418 AH.

11- Tafsir Al-Shaarawi _ Thoughts - Muhammad Metwally Al-Shaarawi, Akhbar Al-Youm Press, Egypt, 1997 AD.

12- Chapter on Interpretation in the Meanings of Revelation, Aladdin Ali bin Muhammad bin Ibrahim bin Omar Al-Shehi Abu Al-Hasan, known as Al-Khazen, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1415 AH.

13- Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan, Abdul Rahman bin Nasser bin Abdullah al-Saadi, Al-Risala Foundation, first edition, 2000 AD.

14- The Divine Conquests and the Unseen Keys Explaining the Qur'anic Words and the Furqani Rulings, Nimat Allah bin Mahmoud Al-Nakhjawani, known as Sheikh Alwan, Al-Rikabi Publishing House, Egypt, first edition, 1999 AD.